

مجلة ربع سنوية - العدد التاسع - أبريل ٢٠١٢

صدق أو لاتصدق

إسكندرية.. الإيطالية

أحمد سالم

ظلت مدينة الإسكندرية على مدى قرون معبرًا من معابر الثقافة والحضارة بين أوروبا والشرق، فمنذ أن أسَّسها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م لتكون عاصمة لإمبراطوريته اليونانية، أصبحت الإسكندرية بوتقة تلتقي فيها الحضارات والثقافات وتمتزج لتعطي ذلك الطابع الفريد لتلك المدينة الساحرة على ساحل البحر المتوسط، وقد ساعد على ذلك تشابه المدينة في طابعها ومناخها بمدن حوض البحر الأبيض، فضلاً عن أهمية موقعها الذي كفل لها أن تكون قاعدة أساسية في عملية التبادل التجاري بين الشرق والغرب، مما أدى إلى الزخم والثراء والتنوع الذي أحدثه التواجد الأجنبي فيها من جميع البلدان على مر العصور المتعاقبة وصولاً إلى العصر الحديث.

منذ العصر الإسلامي ازدهرت الإسكندرية ازدهارًا كبيرًا بعد أن أصبحت مصر معبرًا رئيسيًا لطرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، لقد أصبحت الإسكندرية قنطرة العبور لتلك التجارة من وإلى أوروبا، ومع القوافل والوفود التجارية المتلاحقة زاد الاحتكاك الثقافي والتبادل الحضاري خاصة مع





الجمهوريات الإيطالية التي لعبت بأساطيلها التجارية الضخمة دور الوسيط التجاري، لاسيما البندقية وجنوة وبيزا وفلورنسا. هكذا ومنذ العصر الوسيط كان للإيطاليين وجود مكثف على أرض الإسكندرية، وزاد من ذلك الوجود الاتفاقيات التجارية التي كفلت للجاليات الأجنبية خاصة الإيطالية تسهيل الإقامة والاندماج في الحياة بكافة جوانبها. ومن خلال الوثائق تستطيع أن تتبين دور الجالية الإيطالية الطاغي على عمليات التبادل التجاري وفي الفنادق المخصصة لإقامة التجار، ونرى العملات الإيطالية واسعة التداول في مصر بشكل كبير خلال العصر الوسيط وأشهرها (الفلوري) الفلورنسي، و(الدوكة) البندقي الذي كان أكثر شيوعًا في أسواق مصر، وما إن جاء العصر العثماني إلا وكان البندقي قد تغلغل كوسيط للمبادلة في أقاليم مصر لجودة عياره، وقد أشار الجبرتي إلى أنه في سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م كان يُزيّن به الأكابر طواقي أبنائهم، وأصبح عيار البندقي العالي نموذجًا ينسب إليه ذهب الحلي الجيد، من هنا انتشرت في مصر إلى وقت قريب عبارة (ذهب بندقي) إشارة إلى شدة نقاوته.

وانطلاقًا من القرن التاسع عشر بدأ الإيطاليون بتوافدون إلى مصر خاصة مدينة الإسكندرية، وظلت مصر طوال القرن التاسع عشر وحتى الربع الثاني من القرن العشرين بلد المهجر الأول للإيطاليين؛ حيث هاجر أكثر من ٢٧ مليون إيطالي لأسباب سياسية واقتصادية منذ عام ١٨٠٠م في ظاهرة عُرفت باسم الشتات الإيطالي، وكانت أكبر موجات الهجرة الإيطالية إلى مصر موجتين؛ الأولى. تكونت من حوالي خمسة آلاف إيطالي معظمهم من الصفوة المثقفة الذين هربوا من الاضطهاد السياسي أثناء كفاحهم من أجل استقلال إيطاليا ووحدتها؛ حيث باءت مجهوداتهم بالفشل، وصادف وقت هجرتهم بداية حكم محمد علي باشا الذي بدأ خُطط التحديث في البلاد وعمل على الانتفاع بالخبرات الأجنبية في المناحي المختلفة. لذلك وَفّر لهم الحماية وبدأ بالفعل الانتفاع بخبراتهم ومهاراتهم في جميع المجالات، حتى أن مصمم مدينة الخرطوم بالسودان كان إيطاليًا. أما الموجة الثانية: فكانت بعد الوحدة الإيطالية عام ١٨٦١م بسبب الركود الاقتصادي، وفي ذلك الوقت سارع الخديوي إسماعيل في مشروعه الذي تطلع من خلاله إلى إضفاء طابع أوروبي على مصر، فاستفاد بالخبرات الإيطالية في مشاريعه التي اجتذبت المعماريين والفنانين والتجاريين فضلاً عن العمال وأصحاب الحرف.

هكذا مَثّل الإيطاليون ثاني أكبر الفئات الأجنبية المقيمة في مصر حتى الربع الأول من القرن العشرين بعد الجالية اليونانية، ففي حين عاش حوالي ١٨,٦٦٥ إيطاليًا في مصر عام ١٨٨٢م، وصل هذا العدد إلى ٣٤,٩٢٦ عام ١٩٠٧م، ومع ازدياد توافدهم إلى مصر في مطلع القرن العشرين وصل تعدادهم عام ١٩٢٧م إلى ٥٢,٤٦٢ إيطاليًا، فكانت الزيادة بين عامي ١٩١٧م حتى عام ١٩٢٧م تقدر بحوالي ١٢٢٪. هكذا أصبح الإيطاليون حوالي ٢٥٪ من الأجانب المقيمين في مصر، والذين أقام منهم نسبة ٦١٪ في مدينة الإسكندرية وحدها. إلا أنه منذ عام ١٩٣٨م بدأت أعداد الإيطاليين تتراجع باطراد حتى وصل عددهم عام ١٩٤٧م إلى ٢٧,٩٥٨، وكان هذا التراجع يرجع أولاً إلى دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا الحليف الرسمي لمصر، لهذا تم قطع العلاقات بين مصر وإيطاليا واعتقال الكثير من الإيطاليين ومصادرة أملاكهم، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت القيادة الجديدة في تصفية الوجود الأجنبي في البلاد وتحرير الاقتصاد من السيطرة الأجنبية خاصة بعد معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤م.



ورجوعًا إلى مدينة الإسكندرية، فقد كانت منذ أواخر القرن التاسع عشر ذات طابع أرستقراطي في معظمها، غلبت عليها العناصر الأجنبية التي ارتأت في هذه المدينة امتدادًا للساحل الأوروبي، ففضلتها على باقي المدن الداخلية ومن ضمنها القاهرة، لذلك أقيمت الأحياء الجديدة في الإسكندرية – التي تركز فيها الأجانب – على النمط الأوروبي وتحديدًا على الطراز الإيطالي؛ وذلك في النصف الشرقي من المدينة في المناطق المواجهة للبحر، وتحديدًا في المنشية والرمل والعطارين ومحرم بك. وعلى الرغم من استئثار الجالية اليونانية بنصيب الأسد في تعداد الأجانب بالمدينة – حتى أصبحت سفارة اليونان هي السفارة الوحيدة بالإسكندرية – فلم يستطع اليونانيون التأثير في ثقافة المدينة وشكلها وروحها كما فعل الإيطاليون، الذين صبغوا الإسكندرية بصبغة ساحرة مازالت تشكل ملامح مميزة لتلك المدينة العريقة، لقد نقلوا ملامح النهضة الإيطالية المعمارية والفنية بكل دقة؛ ويرجع ذلك في الغالب لتنوع الجالية الإيطالية، من العامل مرورًا بالمثقف والفنان والمعماري إلى أصحاب الثروة والتجارة، أي أن اختلاطهم كان على جميع مستويات المجتمع السكندري. بعكس اليونانيين الذين تمحور معظمهم حول الأعمال البسيطة من الخدمة العامة والعمل في البارات ودكاكين البقالة، فظل تأثيرهم الثقافي محدودًا، وكان تأثرهم بالمجتمع أكبر من تأثيرهم فيه، وأيضًا بعكس جاليات أخرى أهمها الفرنسية والإنجليزية الذين انحصر تعاملهم مع طبقة الأثرياء وأصحاب الثروة والنفوذ؛ نظرًا لطبيعة عملهم في البلاد وترفعهم بثقافتهم على الطبقات الدنيا، فظل تأثيرهم منحصرًا في تلك الفئة الضيقة من المجتمع.

هكذا، كان للإيطاليين تأثير كبير في مجالات الحياة السكندرية؛ حيث احتلت مساهماتهم العلمية والفنية مساحات واسعة في ثقافة المدينة، فقد ساعدوا في تشييد المباني والجسور والطرق، وأسسوا بنكين تجاريين هما: (بنك روما – Banca di Roma)، (والبنك التجاري الإيطالي – Banca comerciale Italiano)؛ وكان المركز الثقافي الإيطالي (Dante Alghieri) بمثابة مكان التبادل الثقافي واللغوي والفكري بين الإيطاليين وصفوة المجتمع السكندري، ومع تزايد النشاط الإيطالي كان لابد من إصدار صحف باللغة الإيطالية، فصدر ما لا يقل عن أربع صحف إيطالية في مصر أهمها: (المشاهدون المصريون – Lo spettatore Egiziano)، (النزيه – L'Imparziale)، (المرسال المصري – Il Messaggero Egiziano)؛ (صحيفة الشرق – Giornale d'oriente)؛ وبدأت هذه الصحف على التوالي في سنوات: ١٨٤٥م، ١٨٧٦م، ١٨٩٢م، ١٩٣٠م، وقد ساعدت هذه الصحف على التواصل الحضاري والامتزاج وزيادة عملية التأثير والتأثر.

ولم تكن عملية التواصل والامتزاج على الصعيد الشعبي والثقافي فقط بل كانت على الصعيد الأرستقراطي؛ حيث نافست الأرستقراطية الإيطالية مثيلتها الفرنسية التي انطلقت لتسيطر على كافة أجواء حياة الطبقات الراقية منذ عهد الخديوي إسماعيل، الذي انبهر بالحياة الفرنسية وقام باستنساخها، فنقل مقر الحكم من القلعة إلى قصر على الطراز الأوروبي هو قصر عابدين، وبدأت مظاهر الحداثة تغزو البلاط بدءًا من المراسم وحتى حفلات الباللو الراقصة اقتداءً بقصور أوروبا، ورغم هذا شغل الإيطاليون دورًا بارزًا في حاشية الخديوي، وكان ذلك سببًا في هيمنة الطراز الإيطالي على قصور الخديوي فضلاً عن الضواحي الجديدة والمباني العامة التي أمر ببنائها في القاهرة

والإسكندرية، فكانت دار الأوبرا المصرية من أروع هذه الأعمال والتي افتتحت بمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م بعمل إيطالي خالص - نُفِّذ خصيصًا لهذه المناسبة - هو أوبرا عايدة، إلا أن التأثير الإيطالي لم يظهر في البلاط المصري بشكله المؤثر إلا في عصر الملك فؤاد الذي قضى طفولته وشبابه قريبًا من البلاط الإيطالي مع والده إسماعيل بالمنفى، ثم خدم بالجيش الإيطالي، هكذا اتخذ الملك فؤاد كثيرًا من رجال حاشيته من الإيطاليين، واستمر تأثير الإيطاليين في البلاط على عهد الملك فاروق، حتى أصر فاروق على استبقاء حاشيته الإيطالية بالرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا نظرًا لظروف الحرب.

لقد انتقلت الإسكندرية بجاليتها الإيطالية الكبيرة من مدن العصور الوسطى إسلامية الطابع إلى المدن الأوروبية الحديثة، وقد حدث هذا التطور بسرعة فائقة حتى بدا الفرق واضحًا في مطلع القرن العشرين بين الإسكندرية وأي مدينة مصرية أخرى، فسرعان ما أصبحت ميادين الإسكندرية نسخة من ميادين أوروبا بشوارعها المرصوفة وعواميد إنارتها التي تعمل بالغاز، وتند محلاتها ذات اللافتات الأجنبية. وخطوط الترام التي حلت محل الحنطور، هذا فضلاً عن شبكة المجاري الحديثة ومواسير المياه التي مدت البنايات بمياه الشرب. هكذا بدأ طابع المدينة العام في التغيُّر، وتَغيَّرت معه بالطبع مقومات الحياة ومظاهرها عند المصري السكندري، الذي بدأ هو الآخر في هجر طابع الحياة العثماني التقليدي الذي تميز بالبساطة والطابع الشرقي؛ حيث المشربية والقلة والزير والطشت والقفطان والقبقاب والعباءة والحبرة، إلى البلكونة والحنفية والبانيو والبدلة الإفرنجي والبرنيطة والكسكتة، ودخلت الصناعات الحديثة بكثرة إلى المدينة مع الإيطاليين أصحاب التقنيات ورءوس الأموال، فدخل فن السينما والمسرح وصناعة الأثاث الأوروبي، وكثرت المتاجر التي تبيع المنتجات الأوروبية، حتى تفصيل الثياب أصبح على الطريقة الأوروبية.

ومن أكثر الأشياء دلالة على الامتزاج الحضاري الذي تم بين الحضارتين الإيطالية والمصرية في المجتمع السكندري، تلك المفردات اللغوية إيطالية الأصل التي دخلت القاموس اللغوي للعامية المصرية بصفة عامة وللهجة السكندرية على وجه الخصوص. فإذا كانت اللغة الفرنسية قد أثَّرت هي الأخرى وتركت مفرداتها حتى الآن، فإن تلك المفردات كانت قد انتشرت في الأوساط الراقية؛ حيث انتشرت اللغة الفرنسية كلغة دالة على الأرستقراطية، أما اللغة الإيطالية فكانت أكثر انتشارًا بين القاعدة العريضة من المجتمع، وهذا يدل بالطبع على مدى الانتشار الذي وصل إليه الإيطاليون بين الفئات المختلفة، لذلك كان أول قاموس للغة أوروبية في مصر قاموسًا إيطاليًا عربيًا يرجع إلى القرن التاسع عشر. وإذا حاولنا حصر تلك المفردات الإيطالية في العامية المصرية فقد لا نستطيع الإحاطة بها، إلا أننا نستطيع أن نلقي نظرة على تلك الكلمات التي ننطق بها أحيانًا دون



أن نلقي بالاً لمصدرها أو أصلها. لقد تميز أهل ثغر الإسكندرية بكلمة شهيرة يلقونها عند الدهشة أو الاستنكار وهي كلمة (أيوه) وهي ذات أصل إيطالي من كلمة (Aiuto)وتعني طلب المعاونة أو النجدة، لذلك وجدناها قديمًا تقترن باسم ولي من الأولياء المنتشرين في الإسكندرية وأشهرهم أبا العباس المرسي؛ فيقول المستغيث أو المتعجب: (أيوه يا سيدي المرسي) أو (أيوه يا أبو العباس)، هكذا من جملة واحدة نرى الامتزاج الحضاري الحادث بين عالمين: بين كلمة مستمدة من الإيطالية وأخرى من العادات التي انتشرت بين العامة قديمًا وهي الاستنجاد بالأولياء؛ لتخرج لنا هذا الطابع المميز للغة أهل الإسكندرية. ومن أكثر الكلمات الإيطالية شيوعًا في الشارع كلمة (روبابيكيا Roba vecchia)، وتعني الأشياء القديمة، وسبب شيوع هذه الكلمة هي أن الايطاليين هم السبب في دخول حرفة بيع وشراء الأشياء القديمة أو التي تم الاستغناء عنها خاصة الملابس، وقد انتشرت هذه المهنة في أوروبا، فكان الإيطاليون أول من زاولها في مصر بعدما وجدوا لها رواجًا في الشارع المصري، وحتى الآن نسمع من يعمل بها يردد متجولاً (بيكيا)، ومن خلال هذه المهنة أيضًا انتشرت كلمة الكانتو المستمدة من (incanto الإيطالية) ومعناها المزاد، وأُطلقت كلمة كانتو على سوق الأشياء القديمة فأصبح يسمى (سوق الكانتو)، أما الأشياء القديمة ذات القيمة أو التحف فكان يطلق عليها كلمة (أنتيكا Antica)، وشاعت هذه الكلمة بسبب اشتغال الكثير من الإيطاليين بتجارة التحف والعاديات.

ومن أبرز المجالات التي عمل فيها الإيطاليون في الإسكندرية مجالات التجارة والمال، ومن هنا شاعت العديد من الكلمات الإيطالية التي تدل على مدى التأثير الذي أحدثه الإيطاليون في تطور مثل هذه المجالات على الطريقة الأوروبية، ومن أبرز هذه الكلمات: (بورصة Borsa)، (كنتراتو Contratto) وتعني عقد، (لسته Lista)، (درزة أو دستة Dozzia)، (أجانس Agenzia) وتعني وكالة، (بوليصه Polizza)، (بارتيته La partita) وتعني شراكة، (استابينا Stabene) وتعني اتفقنا، (بنك Banca)، (فالصو falso) تعني باطل أو مزور، (كرته Carta) وتعني ورق، (جومة Gomma) وتعني ممحاه، (بوسطة Posta)، (طوناطة Tonnellata) وتعني طن أو ألف كيلوجرام.

ولأن الإيطاليين كانوا أساس النهضة العمرانية التي اجتاحت مدينتي الإسكندرية والقاهرة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دخلت العديد من المصطلحات التي تتصل بمجال العمارة والأثاث الحديث إلى العامية المصرية، وفي بعض الأحيان استخدمت هذه المصطلحات بسبب عدم وجود مقابل لها في العربية؛ نظرًا لحداثة هذه العناصر الوافدة من الغرب، ومنها: (بلكونة Balacone)، (كنبة Canapa)، (بلتكانة Beltkana)، (صالة Sala)، (سقالة Scala)، (شيش Shish)، (أسانسير Ascensore)، (باكبورت Baccaporto)، (بياصة Piazza) وتعني ميدان بلهجة أهل الإسكندرية.

أما في مجال الأزياء والملابس فقد كان الإيطاليون أول من ساهم في انتشار الأزياء الإفرنجية في مصر ابتداءً من الإسكندرية، وانتشرت محلات حياكة الملابس على الطريقة الأوروبية، ومنذ ذلك الحين بدأت الملابس العربية والتركية في الاندثار لتحل محلها الملابس الأوروبية خاصة على الصعيد الرسمي، فدخلت كلمات من أمثال: (اسباليتة Spallino)، وهي حاملة الرتب العسكرية، (أوستيك Asteca)، (بنطلون Pantalne)، (كلسون Calzone)، (برنيطة Beretta)، (جوانتي Guanti)، (جرفته Cravatta).



وفي مجال الصناعة استحدثت الكثير من الصناعات والحرف وتطورت بعض الصناعات الأخرى على الطريقة الأوروبية، وتطورت معها كلمات اُشْتُقَّت من الإيطالية مثل: (ماكينة Macchina)، (ماتور Matore)، (كابوت Cabot) وتعني غطاء المحرك.

وفي مجال الملاحة وجدنا (بوصلة Boussola)، (دومان Timone) وتعني الدفة، واشْتُقَّ منها بعد ذلك كلمة (دومانجي) وهو عامل الدفة، وهذه الكلمة بالغة الدلالة على امتزاج الحضارات في المدينة؛ لأن (جي) هي لاحقة تركية تلحق بالكلمة لتصبح اسم فاعل مثل (قهوجي) أو (شوربجي)، هكذا تكونت الكلمة من مقطعين: أحدهما إيطالي والآخر تركي نتيجة للتأثير العثماني؛ لينطق بها في النهاية عربي يعيش في الإسكندرية. وهناك كلمة (كومندا Comandante) وتعني قائد، وكلمة (ألستة Alista) وهي تخص الانتهاء من الاستعدادات على السفينة، لكنها انتشرت بعد ذلك في الشارع بمعنى (كل شيء تمام).

وفي مجال صناعة السينما والمسرح نجد: (سينما Cinema)، (تياترو Teatro)، (مايسترو Maestri)، (فوتوغرافيا Fotografica).

وفي مجال النقل والمواصلات اشترك الإيطاليون في تحديث وسائل النقل بل وعملوا أحيانًا في وسائل النقل نفسها، غير أنهم شاركوا أيضًا في وسائل النقل القديمة فانتشرت كلمات من أمثال: (كاريتة Carretta)، (كارو Carrozza)، (أسطى Autista) وتعني سائق، (ترام Tram)، (كومساري Commissario)، (بريمو Primo) درجة أولى، (تيرسو Terzo) درجة ثالثة.

وفي مجال الأكلات وجدنا كلمات إيطالية كثيرة نتيجة لكثرة المطاعم التي انتشرت في الإسكندرية وأهمها: (بتلو Vitello) تعني لحم العجل، (مورتاديلا Mortadella)، (فلتو Filetto) تعني شرائح اللحم، (روستو Arrosto) اللحم المشوي، (صلصة Salsa)، (جيلاتي Gelato)، (رنجة Arringa)، (كازوزه Gasosa) وهي المياه الغازية.

كانت أبرز اللمسات والتأثيرات الإيطالية التي أضفت ذلك الطابع على الإسكندرية كان العمران، فبعد أن اقتصرت المنطقة المأهولة في بداية القرن التاسع عشر على حيي الجمرك والمنشية، وَجَّه نزوح الأجانب الكثيف - إلى المدينة - العمران إلى الاتجاه الجنوبي الشرقي ليشغل قلب المدينة التجاري، وأقيمت معظم المباني الجديدة في هذه المنطقة على النمط الإيطالي؛ حيث ضمت ثلاث عشرة قنصلية ومطاعم وفنادق ومستشفيات وكنائس، وأُعيد تخطيط المنطقة المطلة على الميناء الشرقية؛ حيث خُطَّ ميدان جديد ذو مساحة هائلة هو الميدان المعروف حاليًا باسم (محمد علي) أو ميدان المنشية الذي اكتمل عام ١٨٥٥م وسُمِّيَ بميدان القناصل، وشُيِّدت معظم المباني المطلة عليه بعد ذلك على الطراز الإيطالي مثل محكمة الحقانية وقصر توسيستا الذي تحول إلى مبنى البورصة والبنك العثماني، وازداد العمران



في عهد الخديوي إسماعيل؛ حيث اختطت فيها شوارع وأحياء جديدة، وعُمِّرت الرمل في عهده عمرانًا كبيرًا واتصلت بالمدينة بخط حديدي، وأنشأ الخديوي عدة قصور له ولذويه للإقامة بها في الصيف أضفت على المدينة طابعًا ملكيًا أوروبيًا، وفتحت الباب للأجانب وعلية القوم لمحاولة تقليده في بناء المنازل الفخمة والقصور على ذات الطراز، ومن هنا برزت عدة أسماء إيطالية ارتبطت بتصميم وبناء هذه المباني الرائعة التي نرى الكثير منها قائمًا حتى اليوم.

كان من أوائل المهندسين الذين تركوا بصماتهم على المدينة، بترو أفوسكاني Avoscani (١٨١٦م – ١٨٩١م)، والذي أشرف بأمر من محمد علي على تنفيذ الديكورات الداخلية لقصر رأس التين، وفي عام ١٨٥٣م أرسله الأميران اسماعيل وحليم إلى (كرارة) في إيطاليا لاختيار الرخام لمدخل قصر رأس التين، ثم لفرنسا لاختيار الأثاث والديكورات. فكان له فضل كبير في تأسيس العلاقات التجارية بين مصر وإيطاليا فضلاً عن دعم الصناعات الإيطالية في مصر وتوفير المواد الخام، حتى أنه قام بتوريد الأفراد من إيطاليا للعمل في مسرح زيزينيا الذي بناه عام ١٨٦٢م على طراز مسرح (نيريكو) في ميلانو، والذي هُدم عام ١٩١٦م، كما صَمَّم مبنى السوق الدولي للقطن (بورصة مينا البصل) عام ١٨٧١م، وكان أول مَن خَطَّط لربط قصر رأس التين بضاحية الرمل بطريق ساحلي، والذي مهد بعد ذلك لعمل كورنيش الميناء الشرقية بواسطة المقاول الإيطالي (إي المادجا) عام ١٩٠٧م، ثم مَدَّه إلى المنتزة عام ١٩٢٧م بواسطة الإيطاليين (كناريدجا) و(دانتامارو).

بعد ضرب الإسكندرية بالقنابل من قبل الأسطول البريطاني عام ١٨٨٢م بدأت عملية إعادة الإعمار، وخلال حقبة الإعمار (١٨٨٢م – ١٩١٨م)، كان الدور الإيطالي في إعادة بناء المدينة كبيرًا، ومن أبرز الأسماء التي ساهمت في الإعمار أنطونيو لاشاك A. Lasciac (١٨٥٦ – ١٩٤٦)، والذي ساهم في إعادة بناء مجموعة المباني المتاخمة لميدان القناصل بالمنشية، ثم في مجموعة المنازل على طول شارع شريف (صلاح سالم حاليًا) بين أعوام (١٨٨٣م – ١٨٨٨م) والتي تميزت بالأناقة وتأثرها بطراز النيو باروك Neo – Baroque، ومن أبرزها مبنى (بريتي) ١٨٨٧م مكان قصر القناصل، وقام ببناء مجموعة منازل للجالية اليهودية بشارع النبي دانيال (حاليًا بجوار الكنيس اليهودي)، وقام ببناء مجموعة مبانٍ أخرى أبرزها قصر (أغيون) ١٨٨٧م (هو مبنى الأهرام الحالي الواقع في تقاطع شارعي فؤاد والنبي دانيال)، وفيلا (لوران) بالرمل ١٨٨٧م، وقصر الأميرة فاطمة حيدر ١٩١٩م (متحف المجوهرات حاليًا)، وقصر مظلوم باشا بجليم (كلية الفنون الجميلة حاليًا). وتصميم مبنى ترام محطة الرمل عام ١٨٨٧م، وواجهة مبنى محطة مصر عام ١٩٢٥م مع معماري يوناني.

أما المهندس الشهير أرنستو فيروتشي Ernesto Verrucci (١٨٧٤م – ١٩٤٥م)، وصل إلى مصر عام ١٨٩٧م وقدَّم مساهمات كثيرة في العمارة المستلهمة من الروح الإسلامية، فبدأ عمله أولاً فور وصوله في بناء المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، وما لبث بعد ذلك أن انتقل إلى القاهرة لتولي منصب رئيس القسم المعماري في وزارة الأشغال العامة، ثم الإشراف على القصور الملكية في عهد الملك فؤاد، ومع ذلك كانت له إسهامات معمارية أخرى في الإسكندرية؛ حيث قام بتصميم النصب التذكاري للجندي المجهول بالمنشية عام ١٩٢٧م متأثرًا بالجندي المجهول في روما (فكتور إيمانويل الثاني)،





ثم صاحبتي سموحة وكنج مريوط للبارون ميناشي. أما أهم أعماله على الإطلاق فكان قصر الحرملك أكبر قصور حدائق المنتزه ببرجه الشهير عام ١٩٢٧م، فكان له الفضل في إعطاء المنتزه ذلك الطابع المعماري المميز المستوحى من برج مانجيا في الميدان الرئيسي لمدينة سيينا الإيطالية (١٣٢٥م – ١٣٤٤م).

ومن المباني التي نمر عليها كثيرًا فتلفت أنظارنا بجمالها، تلك العمارات التي تطل على ميدان محطة الرمل من جهة وعلى الكورنيش من الجهة الأخرى، منها عمارة سالم وعمارة النقلي، وقد قام ببناء تلك العمائر المهندس الإيطالي لوريا G. A Loria (١٨٧٩م – ١٩٣٧م)، وقام بتنفيذها وفقًا للطراز الفينيسي بين عامي ١٩٢٦م – ١٩٢٨م، ونرى التأثيرات في التفاصيل القوطية خاصة في العقود المأخوذة من قصر دوكالي Ducale، وقد زُيِّنَتْ الواجهات بالآجر والفسيفساء المستورد من إيطاليا، ومن أعماله الأخرى (فندق سيسيل) في محطة الرمل عام ١٩٢٩م، ومبنى الإسعاف في كوم الدكة عام ١٩٣٢م، والمستشفى الإيطالي (بينتو موسوليني) بالحضرة، والمستشفى الإسرائيلي (ميناشا) باسبورتنج، والمستشفى البحري في الشاطبي.

ولم تقتصر أعمال المهندسين الإيطاليين في الإسكندرية على العمارة المدنية على الطراز الإيطالي وإنما تعدتها إلى العمارة الدينية الإسلامية، فكان أهم مَن ساهم في بناء أشهر مساجد الإسكندرية الحديثة هو المهندس ماريو روسي Mario Rossi (١٨٩٧ – ١٩٦١) الذي قدم إلى مصر في أوائل العشرينيات من القرن الماضي عندما استقدمه الملك فؤاد للعمل في وزارة الأشغال المصرية، إلا أنه لم يكن كسابقيه الذين شيدوا القصور والمباني العامة، إنما استهوته العمارة الإسلامية ودراسة طرزها فتخصص في تشييد المساجد حتى دخل في الإسلام، وكان له أسلوبه الخاص في إخراج العمارة الإسلامية بصورة فريدة لم نرها من قبل وضعت أسس وقواعد لمعظم المساجد التي سيتم بناؤها بعد ذلك في القرن العشرين، وقد تجلّت موهبته في أشهر مساجد الإسكندرية، مسجد أبي العباس المرسي الذي استغرق بناؤه ستة عشر عامًا (١٩٢٩م – ١٩٤٥م)، ومسجد القائد إبراهيم (١٩٤٨م – ١٩٥١م) ذي المظهر الفريد، ولقد حاول روسي في هذه المساجد المزج بين الطرز الإسلامية المتمثلة في عمارة المدارس المملوكية ذات الصحن والأربعة أواوين وطراز الكنائس الإيطالية في عصر النهضة ذات التخطيط المركزي، هكذا استطاع بحسه الفني المزج بين الروح الإسلامية والروح الإيطالية. ومن أهم أعماله الأخرى مسجد محمد كريم بقصر رأس التين، ومسجد عمر مكرم الشهير بميدان التحرير بالقاهرة.

هكذا شكّل الإيطاليون ملمحًا من الملامح الرئيسية في تاريخ مصر الحديث، لاسيما مدينة الإسكندرية، التي مازالت تحمل الكثير من الروح الإيطالية في شوارعها وحواريها وميادينها وعمائرها وألسنة أبنائها.

